

الأمثال في القرآن الكريم

(84) الأَوَّل: إحاطة الرعب والهلع بالمنافقين إثر انتشار الإسلام في الجزيرة العربية ودخول القبائل فيه وتنامي شوكته، مما أوجد رعباً في قلوبهم وفزعاً في نفوسهم المضطربة، ويجدون ذلك بلاءً أحاط بهم كالقوم الذين يصيبهم الصيِّب من السماء فيه ظلمات و رعد وبرق وإليه أشار قوله سبحانه: (أو كصيِّب من السماء فيه رعد وبرق). الثاني: انَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمَّا كان يخبرهم عن المستقبل المظلم للكافرين والمدبرين عن الإسلام والإيمان خصوصاً بعد الموت صار ذلك كالصاعقة النازلة على رؤسهم فكانوا يهربون من سماع آيات الله ويحذرون من صواعق براهينه الساطعة، مع أنَّ هذا هو منتهى الحماقة، لأنَّ صمَّ الأذان ليس من أسباب الوقاية من أخذ الصاعقة ونزول الموت وإلى ذلك يشير قوله سبحانه: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنَّهُمْ مُّحِيطُونَ بِالْكَافِرِينَ). الثالث: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعوهم إلى أصل الدين ويتلوا عليهم الآيات البيِّنة ويقوم لهم الحجج القيِّمة، فعنئذٍ يظهر لهم الحق، فربَّما كانوا يعزمون على اتِّباعه والسير وراء أفكاره، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما يعودون إلى تقليد الآباء، وظلمة الشهوات والشبهات، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَظَمُوا لَمْ يَمْلِكُوا). إلى هنا تمَّ التطبيق المركب لكن في مقاطع ثلاثة. ثمَّ إنَّه سبحانه أعقب التمثيل بقوله: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي إنَّه سبحانه قادر أن يجعلهم صمَّاً وعمياً حتى لا ينجع فيهم وعظ واعظ ولا تجدي هداية هادي. وذهاب سمعهم وأبصارهم نتيجة أعمالهم الطالحة التي توصلت إلى باب